الأبعاد الحجاجية في الخطبة الفدكية لسيِّدة نساء العالمين " عليها الصّلاة والسّلام "

الخطبة الفدكية هي خطبة عصماء ألقتها فاطمة الزهراء في المسجد النبوي اعتراضا على حديث رواه ابي بكر و قال أنه سمع رسول الله يقول : (إنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة) ذكرها به أبو بكر و عمر بعد أن منعاها من أرض فدك مطالبة بها باعتبارها إرثا وحقا لها " ١ "

إنّ لفظة الحجاج ، أو المحاجة تستقي معناها من الجدل ، والظفر ، والتخاصم التي تفترض طرفي التخاطب ، أو التحاج الذي من خلاله تتحقق العملية الحجاجية التواصلية على اعتبار أنّه (لا وجود لخطاب خارج الحجاج ، و لا حجاج بلا تواصل باللسان) " ٢ " .

قسّم بعضهم الحجاج على قسمين ،

الأوّل : **حجاج توجيهي** ، والثاني : **فهو حجاج تقويمي** . " ٣ "

١ ـ **الحجاج التوجيهي** : والوجهة هنا يُرادّ بها ظرفية التوجه نحو جهة معينة ، ومنها سُميت الجهات الست ، وليس القصد منها عملية التوجيه ؛ للقيام بفعلٍ ما موافقةً ، أو خلافاً .

يقوم أساساً على إقامة الدليل على الدعوى بنـــاءً على فعل التوجيهي الذي يختصُّ به المستدلّ ، والتوجيه هنا يقوم على فعل إيصال المستدلّ لحججه إلى غيره ، فالمرسل هنا مشغول بإلقاء الحجج ، وإيرادها من دون أن يتوقع أن يعترض عليه المتلقي .

٢ ـــ **الحجاج التقويمي** : يقوم هذا النمط من الحجاج على توقع اعتراضات من المتلقي ، فيرتكن المتكلم إلى الاستناد إلى معرفة ما قد يواجه به ، فيفترض أحياناً الحجج المناسبة للرد فضلاً عن معرفته بصورة مسبقة بعناصر السياق ، فهو يراعي في خطابه أمرين غاية في الأهمية نلخصهما في :

١ـ الهدف الذي يسعى حثيثا إلى تحقيقه ، ألا وهو الإقناع ،

٢ ـ الحجج التي يمكن أن يُعارض بها من لدن المتلقي ، أو المخاطب ، تلك الحجج التي يضعها في الحسبان في أثناء بناء خطابه ، فيستحضرها ، ويحاول تقييدها ، ويعارضها بما لديه من أدلة ، فهو يجرد نفسه ذاتاً معترضةً على مضمون خطابه ، فيسعى إلى دفع تلك الاعتراضات بحجج أقوى ، وأشمل ، وأعم ، بحسب ما يقتضيه الموقف أو المقام ، وفي ذلك يقول الفارابي : (إنّ الخطيب إذا أراد بلوغ غايته ، وحُسن سياسة نفسه في أموره ؛ فليتوخَ طباع النّاس ، وتلونَ أخلاقهم ، وتباين أحوالهم) " ٤ ".

على أن كلا نوعي الحجاج يعتمد اللغة ، والبلاغة ، والمنطق العقلي ، فقد نجد المرسل يستعمل أسلوبا لغويا ، أو بلاغيا ، أو كلاهما معا ، وربّما يستعين بالمنطق العقلي ، و على المسلمات ، والبديهيات ، وما لا يختلف عليه النّاس من أمثال التأكيد بآيات الذكر الحكيم ، أو الحديث النّبوي

الشّريف ، أو أقوال الحكماء الأعلام ، أو الأمثال ، والحكم التي يقبلها العقل .

مفهوم الخطبة ، أو الخطابة :

وعن معنى الخطاب نقرأ في لسان العرب (أنّ الخطاب والمخاطبة، مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة، وخطاباً وممّا يتخاطبان، والمخاطبة صيغة مبالغة تفيد الاشتراك والمشاركة في فعل ذوي شأن.

ورد في قوله تعالى: **(فقال اكفلنيها وعزّني في الخطاب)** " ص / ٢٣ " ، بمعنى الكلام، وأوفي هذه الآية: **(وآتيناهُ الحكمةَ وفصلَ الخطاب)**" ص/ ٢٠ " ، إنّ **الحكمة** هنا تعني : " النبوة، وكمال العلم، وإتقان العمل ، وقيل : الزبور، وعلم الشرائع . وقيل : كلُّ كلامٍ وافق الحقَ فهو حُكمٌ ، **وفصل الخطاب** أي : فصلُ الخصام بتمييز الحقِ عن الباطل، أو الكلام الملخص الذي ينّبه المخاطب على المرام من غير التباس لما قد روعي فيه مظان الفصل والوصل والعطف والاستئناف والإظهار والإضمار والحذف والتكرار، وإنما سُمّي به أما بعد؛ لأنه يفصل المقصود عمّا سبق تمهيدا له كالحمد والصلاة . وقيل : هو الخطاب الفصل الذي ليس فيه إيجاز مخل ، ولا إطناب ممل، كما جاء في نعت كلام النبوة فصل لا نزر و لاهذر) "٥"

والحجاج " نشاطٌ أنساني يتخذ أوضاعا تواصلية متعددة ، ووسائل متنوعة، ويهدف إلى إقناع شخص، أو مستمع ، أو جمهور ما ؛ بتبني موقف ما، أو مشاركة في رأي " ٦ " .

وفي معجم المصطلحات العربية الخطاب، الرسالة Letter، نص مكتوب ينقل من مرسل إلى مرسل إليه، يتضمن عادة أنباء لا تخصُّ سواهما، ثم انتقل مفهوم الرسالة من مجرد كتابات شخصية إلى جنس أدبي قريب من المقال في الآداب الغربية- سواء أكتب نظماً أو نثراً – أو من المقامة في الأدب العربي. " ٧" .

وقبل أن أمضي إلى قصدي في دراسة الخطبة الكبرى لقدوة المتقين مولاتنا الزّهراء " عليها السلام " أرى أن أقفَ عند أرسطو صاحب كتاب " الخطابة " ؛ لاقتطف منه ما يتعلق بكل من الخطيب والمتلقي والخطاب إذ يرى أنّ الخطيب يكون مقنعاً إذا كان كلامه يُلقى على نحو يجعله خليقاً بالثقة ؛ لأننا نستشعر الثقة على درجة أكبر ، وباستعداد أوسع بأشخاص معتبرين في كل الأمور بعامة ـ فكيف إذا كانت المتحدثة العالمة الصادقة المصدّقة التي يرضى الله لرضاها ويسخط لسخطها " عليها السلام " **!!!**

فكل واحد من الأئمة يُعدّ بحراً متلاطماً من المعرفة التي تروي عطش البشرية ، وتنعشها، وإنّ جميع هذه المنابع تصدر من عين فاطمة الزهراء "عليها السلام" ، وإنّ روايات الصادقين، وعظمة الإمام الحسن بن علي ، والحسين ، والأئمة من بعدهم إلى الحجة المنتظر "عليهم السلام" ما هي إلاّ ينابيع لذلك الكوثر الذي لا ينضب .

أما الخطاب فيجب أن يكون مقنعاً عن طريق ما يقوله الخطيب ، لاعن طريق ما يظنه النّاس عن خلقه قبل أن يتكلم ، فهناك علاقة وثيقة بين الخطاب والخطابة؛ وجذورها تظهر في النصوص التراثية، فالخطابة هي إحدى الفنون الراقية يستخدمها العلماء والمفكرون والسالكين طريق الهداية والتنوير ، ولكن الطيبة الشخصية للخطيب التي يكشف عنها حين كلامه تُعدّ من أقوى عناصر الإقناع ــ الذي هو غاية الخطبة ، ولاسيما

إذا كان الموضوع متعلقاً باختلاف الرؤى بين الطرفين أعني : الخطيب ، وجمهوره أو المتلقين ــ ، ذلك الإقناع الذي يأتي من الكلام نفسه إذا كان مدعوما بحجج مقنعة مناسبة للمقام ، أو الحالة المطلوبة فالمتلقي يقتنع ، أو يتجاوب مع الخطاب إذا كان يثير مشاعره ، ويحرك إحساساته ،

فأحكام النّاس وهم مسرورين ودودين ، غيرها حين يكونون مغمومين، أو معادين "٨ " .

وعرّف **أفلاطون** الخطابة بأنّها : (فن القول يجعلُ من يمتلكون ناصيته بارعين في الكلام ، وما دام الكلامُ تعبيراً عن الفكر ؛ فإنّه يجعلهم أذكياء في شيءٍ ما) "٩ " .

ويرى أبو زهرة أنّ الخطابة علمٌ له أصوله وقوانينه ، وقد عبّر عن ذلك بقوله :

(إنّها مجموعُ القوانين التي تعرِّف الدارس طرق التأثير بالكلام ، وحُسن الإقناع بالخطاب ، فهو يُعنى بدراسة طرق التأثير ، ووسائل الإقناع ، وما يجب أن يكون عليه الخطيب من صفات ، وما ينبغي أن يتجه إليه في المعاني في الموضوعات ...) "١٠ " .

والخطابة تسعى بصفة عامة تسعى إلى الإقناع ، والاستمالة ، والنصيحة ، وذلك بحسب المقام ، أو ما يُسمّى عند البلاغيين مراعاةَ الكلام لمقتضى الحال ، وقد تكون الخطبة سياسية محضة، أو دينية محضة ، أو ربّما تجمع بين غرضين ، كأن تكون سياسية دينية ، أو أخلاقية سلوكية ، وهكذا .

إنّ الخطابة بمسارٍ دقيقٍ عُرِّفت بأنّها نوعٌ أدبي شفوي يُرتكنُ إليه في مواجهة موقفٍ غالباً ، ما يقترن بالحجاج بالدرجة الأولى ، يُنمي طاقاتها الارتجال الذي يرفدُ بسمةٍ تميزُ الخطيب بصفةِ فنية مِراسِ الإقناع ، ويُمكنُ استيحاء كينونة هذا المنحى عبر تمثلها في طرفين تُضفي الحياة السياسية بأحدهما إلى الآخر في سيرورة استقامة الحياة الاجتماعية بكل أشكالها إذا أردنا تحديد صنف هذا الشكل من الحياة . " ١١ " .

وقد اعتمدت مولاتنا الزّهراء **"عليها السلام"** في حجاجها الإقناعي ثلاثة مبادئ "١٢" .

١ : مبدأ العدالة :

وهو حيزٌ يُستنبطُ على أثرة أن لها حقاً في ميراث أبيها سيّد المرسلين **"صلوات الله عليه وآله وسلّم"** ، وهي أرض فدك ، والعوالي ، وبساتين خيرات اليهود التي وهبها رجل يهودي اسمه " مُخيريق " من كبار اليهود أسماه الحبيب المصطفى " صلوات الله عليه وآله وسلّم " بـ " خير اليهود " الذي أسلم ، واستشهد بين يدي المصطفى ، ثم وهب تلك البساتين إلى النبي الأعظم **"صلوات الله عليه وآله وسلّم"** بعد أن لمس منه الرحمة والعدالة ، فهي أرضٌ لم يوجف عليها المسلمون بخيل ولا ركاب ، وجرى الصّلح عليها مع أهلها ، فآلت إلى الإمام العادل ممثلا بشخص النبي **" صلّى الله عليه وآله "** وقد وهبها إلى البضعة الطاهرة **" عليها السلام "** .

٢ : مبدأ التنزيه :

ويتمثل هذا المبدأ بشهادة الخصم لمولاتنا الزّهراء لؤلؤة آية التّطهير ، وسيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين ، بإجماع المسلمين ، بل سيدة نساء أهل الجنة ؛ إذ لا يوجد أفضل منها من لدن آدم إلى قيام الساعة فضيلات يرضى الله لرضاها ، ويغضب لغضبها أي :ما تقوله حُجَة ، وما تفعله حُجَة ، وما تقرره حُجَة بك ،فهي صادقة مصدّقة ، ولا تنطق عن الهوى ، وحاشاها ، إذ هي كما وصفها الخصم " معدن الحكمة ، وموطن الهُدى ، والرحمة ، وركن الدين ، وعين الحُجَّة " فكانت الفكرة التي تمثل الروح تتمثل في كلمات الوحي ، وكلمات الرسول الأعظم **"صلوات ربّي وسلامه عليه وعلى آله "** وعلى كلمات آله الطيبين بدءا بالإمام علي "عليه الصلاة والسلام " وانتهاءً بالإمام الحجة المنتظر **"عجل الله فرجه الشّريف"**؛ إذ بيّنت مولاتنا **"عليها السلام"** في خطبتها العصماء الأوامر ، والنواهي ، فضلاً عن أنّها حددت معالم العدل ، والظلم إلى يوم يبعثون .

٣: مبدأ التحقق :

شكّلت خطبة مولاتنا الزّهراء رسالة إلى الأُمة بناءً شامخا مؤسساً على وفق مقدمات تواصلية ، فقد كانت تخاطب ، وتحاور ، وتعظ ، وتجادل ، وتناظر الآخر ؛ لتحقق معادلة مهمة يتفاعل بمقتضاها الثابت مع المتغير ، متخذةً الإقناع سبيلاً في دعوتها القوم إلى رشدهم ، ونصرتهم الحق ، و أهله ، فقد خاطبت عقولهم ووجدانهم بعد أن قرروا مجتمعين على الباطل ، بتركهم نصرة الحق ، ووقفوا ضده بقولها :

(**مَعاشِرَ النّاسِ المُسْرِعَةِ إلى قِيلِ الباطِلِ، المُغْضِيَةِ عَلى الفِعْلِ القَبيحِ الخاسِرِ (أَفَلا يَتَدَبَّرونَ القُرآنَ أَمْ عَلى قُلوبٍهِم أَقْفالُها**) من سورة محمّد / ٢٤ **كَلاّ بَلْ رانَ عَلى قُلوبِكُمْ ما أَسَأتُمْ مِنْ أَعْمالِكُمْ، فَأَخَذَ بِسَمْعِكُمْ وَأَبْصارِكُمْ، وَلَبِئْسَ ما تَأَوَّلْتُمْ، وَساء ما أَشَرْتُمْ، وشَرَّ ما مِنْهُ اعتَضْتُمْ، لَتَجِدَنَّ وَاللهِ مَحْمِلَهُ ثَقيلاً، وَغِبَّهُ وَبيلاً إذا كُشِفَ لَكُمُ الغِطاءُ، وَبانَ ما وَراءَهُ الضَراءُ ،** ((**وَبَدا لَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ما لَمْ تَكونوا تَحْتَسِبونَ**)) من سورة الزّمر / ٤٧ ، وَ ((**خَسِرَ هُنالِكَ المُبْطِلونَ**))) الأعراف / ١٧٣ .

فالحجاج إذن خصومة فكريّة عقلية تقوم على أساس المقارعة بالحجة ، والحجاج أيضاً فعالية تداولية جدلية ؛ لأنّ طابعه الفكري مقامي ، واجتماعي ، إذ يأخذ بالحسبان مقتضيات الحال من معارف مشتركة ، ومطالب إخبارية ، وتوجهات ظرفية ، ويهدف إلى الاشتراك جماعياً في إنشاء في إنشاء معرفة علمية ، و إنشاء موجه جدلي ؛ لأنّ هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صورٍ أوسع ، وأغنى من البنيات الضيقة . " ١٣ "

وقد اختصرت مولاتنا الزّهراء سيدة النساء "**عليها السلام** " في خطبتها الغرّاء العصماء أصول العقيدة بركنيها :

الأوّل : التوحيد ، **والثاني** : النبوة .

فقد استهلت خطبتها بالحديث عن صفات الله جلّ وعلا، ونعلم أن الاستهلال غاية في الأهمية ؛ لما يثيره من لفت نظره المتلقي ، وتهيؤه ؛ لتقبل مضمون الخطاب " وضعه في الصورة "، وكسبه إلى جانب دعوى الخطيب ، والغاية من الافتتاح ، أو الاستهلال هي :

كسب المتلقي استمالة عبر الحجج التي تثير انتباهه وتهيئه ، وله وظائف ثلاث تتلخص فيما يأتـــــــــــــي :

ـ إثارة انتباه المتلقي .

ـ تهيأته لأجل الاستفادة .

ـ استمالته ، وأهمية هذه العناصر تختلف باختلاف أجناس الخطابة . " ١٤"

حيث بدأت بالحمد لله على ما أنعم ، والشكر على ما ألهم ، والثناء بما قدّم من تمام نعم ابتدأها ، ومن مننٍ والاها عزّ إحصاؤها فضلا عن استقصائها ، فمنَنُ الله تعالى أكبر من أن تُحصى قال جلّ وعلا : " ♌♍♑◆❐ •• ★✐✍✂ ❁💣✳🖂☺⬀➔♎☼ ☎✂❐❻⑨↖➔♦✍ ⌘♊🕓❁○♠💣❞✍✂ ·♍♍♑ ▤ ✐✍🖂♎❑♐🕐↘♦🡅✍ ⍓➔♦➔🖬•🗎⋖♑❐➔🖬♦➔♦⍓ ⌧❻✍⊙📠•🗎 " إبراهيم / ٣٤ ، وقد أشارت الصدّيقة الطّاهرة إلى عموم نعم الله التي ابتلاها من دون أن يطلبها أحدٌ بقولها : " وسبوغ آلاء أسداها " فنعمه سبحانه تتسم بالشمولية والتمامية ، وتمام مننه التي أعطاها تامة غير منقوصة ، كَثُرَ فوق أرقام الإحصاء عددها فضلاً عن استقصائها، إذ إنّ أمدها أبعد عن إدراك العقول لتلك النعم ظاهرها وباطنها ، والشكر كما يكون على دوام النعم، يكون على تواصلها، واستمرارها ، فبالشكر تدوم وتنمو، وتتلاحق وتتواصل ، فقد ندبهم الخالق العظيم، إلى شكر تلك النعم ، وحمده على جزيلها .

ثم عرّجت على ذكر صفات حبيبه ، وصفيه ، وخاصته من خلقه ، وعن خصاله ، ومعاناته في سبيل إنقاذ الأُمة من الغواية إلى الهداية **"صلّى الله عليه وآله "**

وضمّنت خطبتها الكبرى الحديث عن الإمامة ، ودورها في انتظام الأُمة ، وأفاضت في الكلام على أسرار التشريعات الإسلامية ، وأحكامها ، وخصائصها ، كما وصفت الواقعة بعد انتقال أبيها إلى الرفيق الأعلى ، وكيف انحرفت عن خط الاستقامة ، والمسار الذي خطّه الله والرسول **" صلّى الله عليه وآله "** ومصداق ذلك قولها :

(لَمَّا اخْتارَ اللّهُ لِنَبِيِّهِ دارَ أنْبِيائِهِ وَمَأْوى أصْفِيائِهِ، ظَهَرَ فيكُمْ حَسيكَةُ النِّفاقِ وَسَمَلَ جِلْبابُ الدّينِ، وَنَطَقَ كاظِمُ الْغاوِينِ، وَنَبَغَ خامِلُ الأَقَلِّينَ، وَهَدَرَ فَنيقُ الْمُبْطِلِين ، فَخَطَرَ فِي عَرَصاتِكُمْ، وَأَطْلَعَ الشيْطانُ رَأْسَهُ مِنْ مَغْرِزِهِ، هاتفاً بِكُمْ، فَأَلْفاكُمْ لِدَعْوَتِهِ مُسْتَجيبينَ، وَلِلْغِرَّةِ فِيهِ مُلاحِظِينَ .ثُمَّ اسْتَنْهَضَكُمْ فَوَجَدَكُمْ خِفافاً، وَأَحْمَشَكُمْ فَأَلْفاكَمْ غِضاباً، فَوَسَمْتُمْ غَيْرَ اِبِلِكُمْ ،

وَأَوْرَدْتُمْ غَيْرَ شِرْبِكُمْ، هذا وَالْعَهْدُ قَريبٌ، وَالْكَلْمُ رَحِيبٌ، وَالْجُرْحُ لَمّا يَنْدَمِلْ، وَالرِّسُولُ لَمّا يُقْبَرْ، ابْتِداراً زَعَمْتُمْ خَوْفَ الْفِتْنَةِ،
(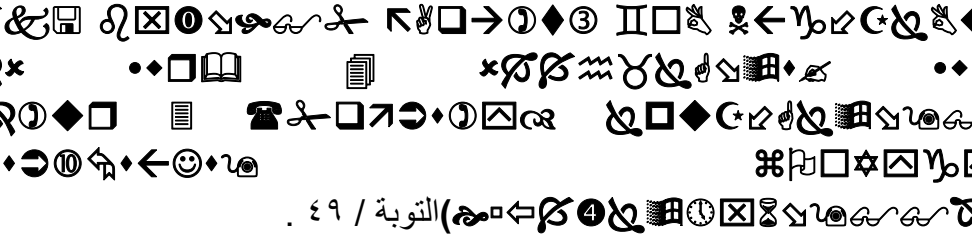
التوبة / ٤٩ .

ثم تشهّدت **"عليها السلام"** الشهادتين " أشهدُ أن لا إله إلّا الله " وهي كلمة جعل الإخلاصُ تأويلها ، المقصود أن كلمة: (لا إله إلا الله) يعود معناها إلى الإخلاص، كما قال أمير المؤمنين **"عليه السلام": "وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه "١٥ "** .

فقد قيل: إن المقصود من (**الإخلاص**) هو جعله خالصاً من النقائص كالجسم والعرض، وما شاكلهما من النقائص، وكمال الإخلاص له نفي الصفات، أي الصفات الزائدة على ذاته ؛ لأن كل موجود متصف بصفته، وصفته غير ذاته، فالإنسان غير العلم، والعلم غير الإنسان ولكن الله تعالى علمه عين ذاته، وبقية صفاته كلها عين ذاته "١٦"، فقد شهدت بالوحدانية المشروطة لا باللفظ حسب ، بل بالإخلاص في النية ، والع مل أيضاً ، إذ لابد للقلوب من أن تتضمن دوام الاتصال بالتوحيد الحق ؛ حتى ينعكس ذلك نوراً في التفكير، والعمل ، ومن تمام نعم الله عزّ وجلّ أن بعث سيدنا محمداً **" صلّى الله عليه وآله "** نبياً وهاديا وبشيرا إلى النّاس كافة ، ولا أظن أن أحداً أعطى محمداً **" صلّى الله عليه وآله "** حقه بمثل ما أعطته مولاتنا الزّهراء **" عليها السلام "** له ، فقد بيّنت أن الله جلّ وعلا بحكم كونه خالق الزّمان ، والأكوان قد بعثه إتماما لحجيته على خلقه ، بقولها : (وأشهدُ أن

أبي محمدا عبدُه ورسولُه)، وبهذا تكون " عليها السلام " قد أقّرت **أوّلاً** : بالعبودية المطلقة ، وبأنّها ابنته ، وفي ذلك إشارة ضمنية إلى أنّها وريثته الشّرعية في الميراث ، ليس فيما ترك من أموال ، أو عقار حسب، بل وريثته في العلم ، والحكمة ، وبوصفها حجةً على العباد ، فهي الصّادقة المصدقة ، فقولها حجة ، وفعلها حجة بحجية نبينا العظيم على الخلق أجمعين ، فحين البعثة كانت الأمم ذات أديان متفرقة ، فمنهم من يعبد النيران ، ومنهم من يعبد الأوثان ، ومنهم من يعبد المخلوقات ، وهكذا ، فأنار بمحمد " صلّى الله عليه وآله" الظُلم عن النّاس ، وكشف عن القلوب ما بهُمت عن معرفته، بقولها : **" ابتعثه الله تعالى إتماماً لأمره ، وعلما منه بمآل الأمور ، وإحاطةً بحوادث الدهور ، ومعرفةً بمواقع المقدور"**، ثم عددت فضائل أبيها من طريق دعوتهم إلى الصراط المستقيم ، والدين القويم ، ودلّلت على أن موت الرّسول ، وإلحاقه بربّه كان رأفةً من الباري سبحانه به ، ورغبةً منه ، واختياراً له ؛ بوصفه صفيه ، وحبيبه ، فقد أراحه الله تعالى من تعب الدنيا ، وفرّ إلى الله تحفه الملائكة ، ويرفلُ برضوان الرب وبنعمة جواره .

ثم انتقلت في حديثها إلى دور الإمامة ، وأهميتها العظمى في حياة الأُمة ـ بعد رحيل الحبيب المصطفى " صلوات الله عليه وآله "ـ في انتظام أمور المسلمين ، واستقرارها ، بقولها " عليها السلام " **(وإطاعتنا نظاما للملة ، وَإمامَتَنا أماناً مِنَ الْفُرْقَة)** ، وحجتها في ذلك تكمن في أنّ الله تعالى قد زوّدهم بالمواهب ، ومنحهم الأهلية الكاملة لقيادة الأمة ، فقد أحاطوا علما لدُنياً بكل ما ينهض بالأمة ، ويرتقي بها إلى مصاف الأمم المتقدمة ، وما يضرها ، وقد جعلهم الرّسول الأعظم عدلاً للقرآن بقوله : **(إنّي تاركٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ، وإنّكم لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما)** " ١٧ "

وأرادت بقولها **" إمامتنا " أي** : إمامة الأئمة الأطهار الاثني عشر ، وبشخص زوجها أمير المؤمنين أبي الأئمة **"صلوات الله عليهم أجمعين "**، وهم أولو الأمر الذين أوجب الله تعالى إطاعتهم على العباد بقوله :

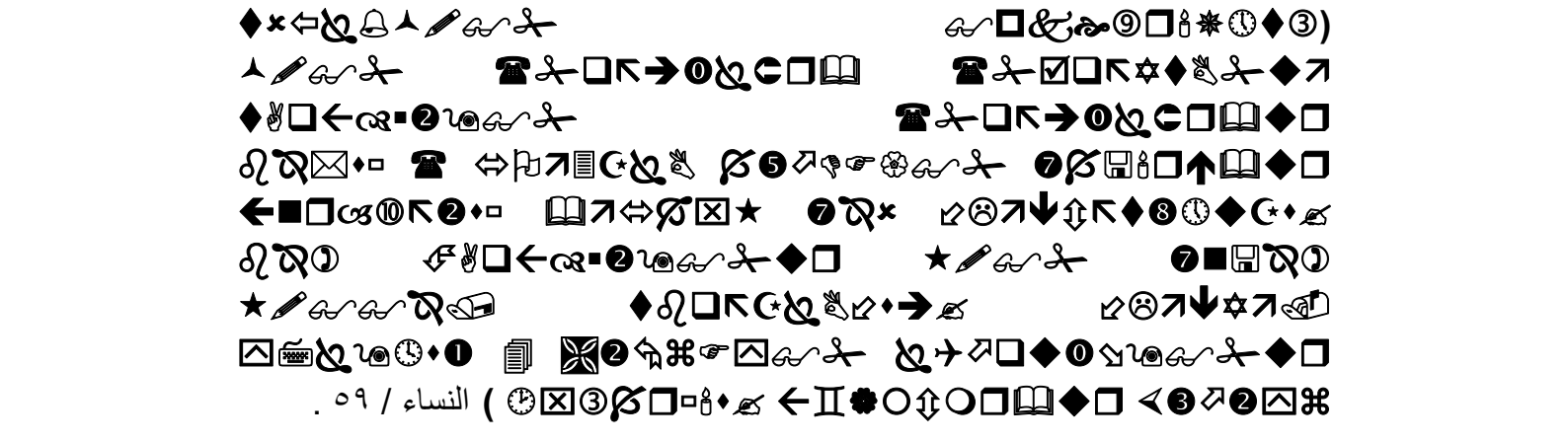

وفي ذلك دعوة صريحة من الباري جلّ وعلا إلى الأمة ؛ لكي يضعوا أهل البيت **"عليهم السلام "** حيثما وضعهم سبحانه حيث يكون الإمام في موضعه الطبيعي وفي ذلك دلالة واضحة منها على العنصر الوحيد المؤمن للأمة ، وهي مودة ذوي القربى ، فهم سُفُن النّجاة ، ومنبع للحياة ، فأوصى الله تعالى بحقهم ، وفرض على الخلق طاعتهم ، والأخذ بمسائل الدين من منابعهم ؛ لأنّهم الأعلم بالإسلام من غيرهم بشهادة ربِّ الأنام ، فضلاً عن الموالف ، والمخالف لهم ، فكلهم أعلام للدين ، والنجاة للهالكين ، وأولهم وأفضلهم أمير المؤمنين **" عليه السلام "** ، ثم الأئمة من ذريته الأطهار ، ومن قبلهم الزهراء البتول سيدة نساء العالمين **" عليهم السلام أجمعين "** .

ولم تنسَ **" عليها السلام "** قضية إرثها من رسول الله **" صلّى الله عليه وسلّم "** واستحقاقها فدكاً ،وناقشت ذلك كله بالحكمة والعلم وإعطاء الحجج الدامغة مستعينةً بكتاب الله ، وأسراره التي عُلمتها من لدن الخبير العليم " تبارك وتعالى " ، وقد اتخذت مولاتنا الطّاهرة **" عليها السّلام "** الحجاج في خطبتها العصماء، إذ لم تترك طريقة من طرائقه المفضية إلى الإقناع إلا وسلكتها؛ لتوضيح حقها في ميراثها ؛ ولتحذير القوم من مغبة ترك شرع الله ، وحرمانها من حقها الشّرعي ؛ لأن في ذلك مخالفة لسُنّة رسول الله **"صلوات الله عليه وآله"** الذي هو أبوها ، وهي بنته ، وبضعته الطيبة ، وقد تنوعت أساليب الحجاج لديها تنوع أساليب العربية ، وتنوع ما لقيته **"عليها السلام"** من المساءة ، أو جهل ، بغي الباغين ، وهي جلّها أساليب حجاجية موزعة بين الأساليب العقلية المنطقية ، والأساليب البلاغية ، والنّحوية ، والصّرفية ، وبين الأساليب الشرعية ـ القرآن الكريم ، والسّنّة النبوية المكرّمة ـ .

إنّ بـــؤرة معنـــى الـــنّص تتمّثـــل فـــي انتصـــار مولاتنـــا فـــي بيـــان أحقيتهـــا فـــي ميـــراث أبيهـــا ، فهـــي ابنتـــه ، وهنـــا يمكننـــا اســـتثمار فعليـــة الأمـــر فـــي قولهـــا : " اعلمـــوا " ؛ بوصـــفه منطلقـــاً حجاجيـــاً ، فهـــم يعرفـــون أنّهـــا فاطمـــة بنـــت النبـــي " **صـــلّى الله عليـــه وآلـــه** " ، **لكنهـــا أرادت بفعـــل الأمـــر " اعلمـــوا "** أمـــراً غايـــةً فـــي الأهميـــة ألا وهـــو التخصـــص بالعصـــمة ؛ لأنّهـــا بنـــت النبـــي الأعظـــم " **صـــلّى الله عليه وآله** " ، ولأنّها أم الأئمة المعصومين " عليهم السلام " .

(**أيها الناس اعلموا أني فاطمة، وأبي محمد" صلى الله عليه وآله "، أقول عوداً وبدءاً، ولا أقول ما أقول غلطاً، ولا أفعل ما أفعل شططاً** "❁⑨♦◑♦❁⇳ ⇳Ⅱ♌✂✍ ♌♈❑←❀◆❻ ⬀☠→🗎◆↗🖉🕭🖂Ⅱ 🖋♦✍ ♌○↘⓿■🖬♦↖ ↘❽③🚫⑩♦↖ ⬀☠→⌛↖○→▦☼❑🕮 ☠→⌛↘⓿■🖬♦↘ ↖🖈③🇽❷🖂○ ⇔⚐🖝✍♌✡♦↖ 🚫⚐⑩♌○▪❻ ✍🖝❑↓↗◆❻ 🖝▫✓♌☪♌✍⬂♦←☺↘❁🖝🖝✍🖃 " **التوبة**: ١٢٨) .

وقد نجحت أيّما نجاح في دحض حكم الخليفة رأس الهرم السياسي ، وإلقاء الحجة عليه في عدم تطبيق الحكم الشرعي ، فقد مسحت بشعاع ظلها عتمة الظلام ، وكستِ الدنيا بأسارير وجهها المبارك ؛ لتساير أباها في الحركة ، والكلام ، فما تخرم مشيتها مشية أبيها ، ولا كلامها كلامه ، فلسانها لسان الصادق الأمين ، ومنطقها من كلام رب الأنام ؛ لترتفع بأجنحة الطّهارة ، إلى دنيا أبيها متألقة بنور الرّحمة ، وقد و اظهرت حقيقة القوم في تقاعسهم عن نصرة الحق ، ووقوفهم صفا مع الباطل ، أي : انحرافهم عن خط النبوة ، والطريق القويم ، بعد أن أثبتت ذلك الحق بحجج ، وبراهين قاطعة ، عن طريق التّقابل الفكري، والواقعي المنطوق من الحكم ، والواقع المصدّق الذي يتمثل في إسراع القوم إلى الباطل ، وتقاعسهم عن نصرة الحق ، وفي نص مفعم بالطباق بقولها :

(**هيهات منكم! وكيف بكم؟ وأنّى تؤفكون؟ وكتاب الله بين أظهركم، أموره ظاهرة، وأحكامه زاهرة، وأعلامه باهرة، وزواجره لائحة، وأوامره واضحة، قد خلفتموه وراء ظهوركم، أ رغبةً عنه تريدون، أم بغيره تحكمون بئس للظالمين بدلاً** " ❑♦✍◆❑ Ⅱ♦✍◆▭♦③ 🖈⬂♦✐⬀⌨♦③ ◆❸⬀❷☒⬊ ✂✍"💣❀⇔🖬■🕓☠↳ ⑩♌③✡✡✍ ▫•🖬■Ⅱ

عمران: ٨٥

ثم لم تلبثوا إلا ريث أن تسكن نفرتها، ويسلس قيادها ثم أخذتم تورون وقدتها، وتهيجون جمرتها، وتستجيبون لهتاف الشيطان الغوي، وإطفاء أنوار الدين الجلي، وإهماد سنن النبي الصفي، تُسرّون حسواً في ارتغاءٍ، وتمشون لأهله وولده في الخَمَر والضراء، ونصبر منكم على مثل حز المدى، ووخز السنان في الحشا، وأنتم تزعمون ألا إرث لنا "

المائدة /٥٠) .

يرتبط مفهوم الروابط ، والعوامل الحجاجية بما أسماه انسكومبر وديكرو (بالوجهة ، أو الإتجاه الحجاجي ، ويعني أنّه قول ما يمكن من إنشاء فعل حجاجي ، فإنّ القيمة الحجاجية لهذا القول يتم تحديدها بوساطة الإتجاه الحجاجي) " ١٨" .

ومأتى هذه الوجهة الحجاجية هو المكونات اللغوية المختلفة التي تربط بين وحدتين دلاليتين ، أو ربما أكثر في إطار استراتيجية حجاجية واحدة ، وتسند كلّ وحدة ،أو قول دوراً محددا داخلها ،وهي التي تحدد معناها ، وتضيق ، أو توسع من احتمالاتها الحجاجية ، وأن تلك المكونات فضلا عمّا تقدّم تحدد طرائق الربط بين النتيجة وحجتها ، والروابط الحجاجية ، ولا تنحصر وظيفة تلك الروابط في الأغراض اللغوية حسب ، بل تؤدي أغراضاً استدلالية حجاجية فضلا عن وظيفتها الرابطة ." ١٩ "

١ ـ أسلوب الاستفهام :

ومن الأدوات الحجاجية التي استعملتها مولاتنا في خطبتها العظيمة الاستفهام ، ذلك الاستفهام الذي خرج إلى التعجب ، وهل يُتعجب إلا من شيء ، أو فعل يخالف سنن الكون ، والحياة ، وقواعد الدين الحنيف ، وشرائعه الغرّاء !!! ، وبذلك تؤكد " عليها السلام " فكرة عصيان القوم ، ونبهتهم على مغبة ذلك العصيان إلى ما ينتظرهم من أمر الله تعالى بعد

الموت ، وما في تمردهم الموجب لخسرانهم في الدنيا والآخرة ، ألا ذلك هو الخسران المبين !!!! .

وقد نجد أن **الاستفهام** قد خرج إلى **الإنكار ، والتقريع ، والتوبيخ** أحياناً ، وهي ترمي بطرفها نحو الأنصار مخاطبة إياهم بـ " يا معاشر الفتية ، وأعضاد الملة ، وأنصار الإسلام " متمثلاً بقولها " صلوات الله عليها " :

ومن أدوات الاستفهام الأخرى نجد الاستفهام ب " ما " متمثلاً بقولها " عليها السلام "

(ما هذه الغميزة في حقي؟ والسّنة عن ظلامتي أما كان رسول الله صلّى الله عليه وآله أبي يقول: المرء يُحفظ في ولده ؟ سرعان ما أحدثتم، وعجلان ذا إهالة، ولكم طاقة بما أحاول، وقوة على ما أطلب وأزاول أتقولون مات محمد صلى الله عليه وآله؟ فخطب جليل استوسع وهيه، واستنهر فتقه، وانفتق رتقه، وأظلمت الأرض لغيبته، وكسفت الشمس والقمر، واندثرت النجوم لمصيبته، وأكدت الآمال ،وخشعت الجبال، وأُضيع الحريم وأزيلت الحرمة عند مماته فتلك والله النازلة الكبرى والمصيبة العظمى ، لا مثلها نازلة ولا بائقة عاجلة أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه في أفنيتكم في ممساكم ومصبحكم هتافاً وصراخاً وتلاوة وإلحاناً، ولقبله ما حل بأنبياء الله ورسله، حكم فصل وقضاء حُتم) .

٢ ـ أسلوب النداء

ومن الأدوات الحجاجية في خطبة مولاتنا الزّهراء **" صلوات الله عليها " النداء الذي حُذفت منه الأداة " يا "** بقولها : **مَعاشِرَ النّاسِ المُسْرِعَةِ إِلى قِيلِ الباطِلِ** ، ورد ذلك في حجاجها مع الخليفة الذي أقرّ لها بحقها ، فإنّ حجيتها **" عليها السلام "**، بقوله: **(صَدَقَ اللهُ وَرَسولُهُ، وَصَدَقَتِ ابْنَتُهُ؛ أَنْتِ مَعْدِنُ الحِكْمَةِ، وَمَوْطِنُ الهُدى وَالرَّحْمَةِ، وَرُكْنُ الدِّينِ وَعَيْنُ الحُجَّةِ، لا أُبْعِدُ صوابَكِ، وَلا أُنْكِرُ خِطابَك)** .

وبهذه الدائرة مما يجعلها ضرورة من ضرورات الدين الحنيف، تلك الحجية التي حظيت بإجماع الأمة ، وأن التخطيط الجديد الذي جاء به الخليفة بردّ الأمر إلى المسلمين ، وجعله بينها وبينه تجلّت المفارقة

الخطيرة ، إنّها لا تعمل بما جاء به ، إذن هو انقلاب تشريعي واضح جليّ الأهداف ، هنا انتهزت الصدّيقة الفرصة التاريخية ؛ لبيان حال الأُمة لا ينكرها إلا مبتدع مخالف ، ولعلّ أهم مخالفة ، و أخطرها سقوط الأنموذج " الخليفة " ؛ باتخاذه هذا الموقف معتقدا على وجه اليقين ، إذ لم يكن مستبداً في رأيه ، ثم أدار الحديث إلى الصحابة بقوله : **(هؤلاءِ المُسْلِمونَ بَيْنِيَ وبَيْنَكِ، قَلَّدوني ما تَقَلَّدْتُ، وَباتِّفاقٍ مِنْهُمْ أَخَذْتُ ما أَخَذْتُ غَيْرَ مُكابِرٍ وَلا مُسْتَبِدٍّ وَلا مُسْتَأْثِرٍ، وِهُمْ بِذلِكَ شُهود)** .

الطّامة الكبرى ألا وهي : أصبح للأمة خيار يتلخص في أنّها لا تعمل في كتاب الله ، وشرعه " فهو انقلاب تشريعيٌّ خطير ، وهذا الامر يعني أننا أمام تشريع جديد يقضي أنّ الأُمة يمكن أن تجمع ، أو تقوم بأكثرية ما أمام حكم لله تعالى ، ومن ثَمّ سيصبح الإجماع المنافق المخالف للنّص القرآني ساري المفعول وسيصبح بعد ذلك مصدراً من مصادر التّشريع ، وباب مدينة العلم خارجه ، إذ أضحى للمسلمين رأي ، مقابل رأي الله تعالى والنبي الأعظم " **صلى الله عليه وآله** " ، وعليها " **عليها السلام** " الإذعان إليه ، عندما تجتمع كلمة الأُمة على أمر ما ، كترشيح يزيد لخلافة المسلمين على سبيل المثال **!!!** .

فما كان منها إلا أن تتصدى للقوم بكلام عنيف ، فالتفت الطّاهرة إليهم موبخةً إيّاهم في السُّرعة في قول الباطل ، وأبطلت دعواهم في استخلاف الرّسول الأمين " صلّى الله عليه وآله " ؛ لتبين للداني والقاصي حالة الانقلاب الذي وقع بين ليلة وضحاها من رحيل النّبي الأعظم ، واستبدال حكم الله عزّ وجلّ بحكم وضعوه على مقاسهم ؛ جراء ما كسبت أيديهم من سوء موقفهم وخذلانهم إيّاها ، وإزاحة الحق عن أهله ، فإنّ الأصعب من المعصية إيجاد المسوغ لها **!!!** .

لتنتفع بها الأجيال القادمة عند محاكمة التاريخ ؛ لتستشعر حالة الظُلم الذي وقع على أهل بيت العصمة ، والطهارة ؛ لتندد به ، ليكون طريقاً لرفض الأساليب التي اتبعتها السلطة ، وأجهزتها في قمع المعارضين ، وإسكات أصواتهم ؛ لتغطية الجريمة الكبرى ، وما رافقها من إخلال بالمنهج الرسالي ، بقولها :

(مَعاشِرَ النّـاسِ المُسْرِعَةِ إلـى قِيـلِ الباطِلِ، المُغْضِيَةِ عَلـى الفِعْلِ القَبـيحِ الخاسِرِ "أَفَلا يَتَدَبَّرونَ القُرآنَ أَمْ عَلى قُلوبِهِم أَقْفالُها " كَلاّ بَلْ رانَ عَلـى قُلوبِكُمْ ما أَسَأتُمْ مِنْ أَعْمالِكُمْ، فَأَخَذَ بِسَمْعِكُمْ وَأَبْصارِكُمْ، وَلَبِئْسَ مـا تَـأَوَّلْتُمْ، وَساءَ ما أَشَرْتُمْ، وشَرَّ ما مِنْـهُ اعتَضْتُمْ، لَتَجِدَنَّ وَاللهِ مَحْمِلَـهُ ثَقيلاً، وَغِبَّـهُ وَبيلاً إذا كُشِفَ لَكُمُ الغِطاءُ، وَبانَ ما وَراءَهُ الضَراءُ، " وَبَدا لَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ

ما لَمْ تَكونوا تَحْتَسِبونَ"[وقد مزجت كلامها بكلام الله تعالى **] من سورة الزمر / ٤٧ ، وَ " خَسِرَ هُنالِكَ المُبْطِلونَ)** غافر / ٧٨ .

فإنّ من ألغى عقله ، واتبع هواه ، وأخلد إلى الباطل ، ولزم الدنيا ، فليس إليه سبيل ، إنّ نكوص القوم ، وتقاعسهم عن نصرة بنت الطُّهر ؛ لذلك جاء تعجبها في خطابها لهم ، يتوالى ، فرسم لهم صورة هي أقرب إلى صور المتخاذلين ، والمقصرين ، فهم لم يعدموا حقاً يؤازرهم ، فمولاتنا صاحبة الحق الشّرعي ، وخصمها مغتصب لذلك الحق ، ولم يعدموا علماً ، الزّهراء الصدّيقة من أعلم النّاس بعد أبيها ، وزوجها سيّد الموحدين في

عصره ، ولم يعدموا العدد ، فهم كثرة في الباحات ، قلة تحت الرايات ، فقد عاشوا في دعة يتفكهون ، بل العجب كل العجب من ردّهم شهادة يعسوب الدين ، وسيف الله المسلول في الحق بينما كان الإمام عليّ **"عليه السلام"**، الذي لم يكن في نفسه هوًى ، وكان سيّد الأولياء ، ناصحاً للمؤمنين، جديٌّ في ذلك ، ومتعب نفسه ، وأنتم في رفاهية من العيش ، تنتظرون أن يأتيكم الزّمان بأخبار زوالنا ، تنتقصون عند النزال { في أُحد، وخيبر ، وحُنين } ، فقد استطاعت أن تأخذ إقراراً منهم بأعلمية الإمام عليّ ، وأحقيته في قيادة المسلمين ، بقولها :

(فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد صلى الله عليه وآله بعد اللُتيا والتي، وبعد أن مني ببُهم الرجال وذؤبان العرب ومردة أهل الكتاب

"

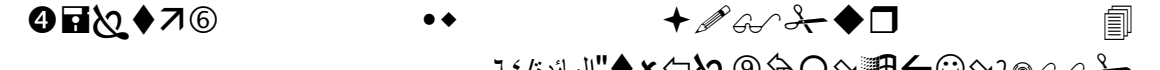

"المائدة/٦٤ .

أو نجم قرن للشيطان، وفغرت فاغرة من المشركين قذف أخاه في لهواتها، فـــلا ينكفئ حتى يطأ صـــماخها بأخمصه، ويُخمد لهبها بسيفه ، مكدوداً في ذات الله، ومجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله سيداً في أولياء الله، مشمراً ناصحاً، مجداً كادحاً، وأنتم في رفاهية من العيش، وادعون فاكهون آمنون، تتربصون بنا الدوائر، وتتوكّفون الأخبار، وتنكصون عند النزال، وتفرون عند القتال) .

٣ ـ الاحتجاج بالجملة الاسمية :

نأتي الآن ؛ لنسلط الضوء على دلالة الجملة الاسمية التي تكررت لدى مولاتنا في حجاجها مع القوم الذين أبوا أن يعطوها حقها الشّرعي ، ولعلّ من أهم سمات الجملة الاسميّة دلالتها على الثبات ، والدوام ، فضلاً عن دلالتها على لزوم الصفة في صاحبها ، فمما ورد لديها **"عليها السلام"** في بيان صفات أبيها المصطفى " صلوات الله عليه وآله " قولها :

(أنتم عباد الله نصب أمره ، ونهيه وحملة دينه ووحـــيه، وأمناء الله على أنفسكم، وبـــلغاؤه إلى الأمم، وزعمتم حـــق لكم لله فيكم، عهد قدّمه إليكم، وبقية استخلفها عليكم كتاب الله الناطق، والقرآن الصادق، والنور الساطع، والضياء اللامع، بيّنة بصائره، منكشفة سرائره، متجلية ظواهره، مغتبطة به أشياعه، قائد إلى الرضوان اتّباعه، مؤدٍ إلى النجاة إسماعه، به تُنال حجج الله المنورة، وعزائمه المفسرة، ومحارمه المحذّرة، وبيّناته الجالية، وبراهينه الكافية، وفضائله المندوبة، ورخصه الموهوبة، وشرائعه المكتوبة) .

٤ ـ الاحتجاج بالجملة الفعلية :

أما الأفعال الواردة في خطبة مولانا سيدة نساء العالمين " عليها السلام " فكان للفعل الماضي النّصيب الأوفر ، فقد تنوعت **أفعال الماضي** تنوع السياقات التي جاءت فيها ، فمنها ما ورد **للوعظ** ، ومنها ما كان **للاعتبار** ، ومنها ما جاء **للوصف** ، أو **الإنكار** ، وهكذا ، وسنقف عند بعض النصوص التي غلبت عليها أفعال الماضي من مثل : ، (**جمّ ،وتفاوت ، وضمّن ، وأنار ، وابتدع ، وأنشأها ، كوّنها ، وذرأها** ، فقد ورد للمدح وتعداد صفات

الباري تعالى، وقد استهلت خطبتها بحمد الله، وشكره، والثناء عليه نقرأ قولها :

(جمّ عن الإحصاء عددها، ونأى عن الجزاء أمدها، وتفاوت عن الإدراك أبدها، وندبهم ؛ لاستزادتها بالشكر لاتصالها، واستحمد إلى الخلائق بإجزالها، وثنّى بالندب إلى أمثالها. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلمة جعل الإخلاص تأويلها، وضمّن القلوب موصولها، وأنار في الفكر معقولها، الممتنع من الأبصار رؤيته، ومن الألسن صفته، ومن الأوهام كيفيته. ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها، وأنشأها بلا احتذاء أمثلة امتثلها، كوّنها بقدرته، وذرأها بمشيته، من غير حاجة منه إلى تكوينها، ولا فائدة له في تصويرها إلا تثبيتاً لحكمته، وتنبيهاً على طاعته، وإظهاراً لقدرته، وتعبّداً لبريته، وإعزازاً لدعوته، ثم جعل الثواب على طاعته، ووضع العقاب على معصيته، ذيادةً لعباده عن نقمته، وحياشة منه إلى جنته) .

وقد أفاضت سيدة نساء العالمين في الحديث عن أسرار التشريعات الإسلاميّة ، و أحكامها ، وخصائصها بقولها " عليها السلام " :

(فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر، والزكاة تزكية للنفس ونماءً في الرزق، والصيام تثبيتاً للإخلاص، والحج تشييداً للدين، والعدل تنسيقاً للقلوب، وطاعتنا نظاماً للملة، وإمامتنا أماناً من الفرقة، والجهاد عزاً للإسلام، والصبر معونة على استيجاب الأجر، والأمر بالمعروف مصلحة للعامة، وبر الوالدين وقاية من السخط، وصلة الأرحام منسأة في العمر ومنماة للعدد، والقصاص حقناً للدماء، والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة، وتوفية المكاييل والموازين تغييراً للبخس والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس، واجتناب القذف حجاباً عن اللعنة، وترك السرقة إيجاباً للعفة، وحرم الله الشرك إخلاصاً له بالربوبية ٠ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ" آل عمران: ١٠٢ **) .**

وورد **الفعل الماضي** في خطبة مولاتنا **" عليها السلام "** للاعتبار، والعظة في حديثها عن أبيها المختار " صلوات الله عليه وآله " ، ومكانته العظيمة لدى الباري عزّ وجلّ ، فقد اصطفاه قبل أن يبتعثه ، حين كانت الخلائق في عالم الغيب ، وكانت حكمة الله من بعثته إتماماً لأمره ، وإمضاءً لحُكمه ، وانفاذاً لمقادير حتمه ، فكان البشُرى التي جاء بها أنبياء الله تعالى ، والرحمة لعباد الله ، ومنقذهم من الضّلال ، والعمى ، والشرك ، نجد ذلك كله في قولها **" عليها السلام "** :

(فرأى الأمم فِرقاً في أديانها، عكفاً على نيرانها، عابدة لأوثانها، منكرةً لله مع عرفانه، فأنار الله محمدٍ صلى الله عليه وآله ظلمها، وكشف عن القلوب بهمها، وجلّى عن الأبصار غممها، وقام في الناس بالهداية، وأنقذهم من الغواية، وبصّرهم من العماية، وهداهم إلى الدين القويم، ودعاهم إلى الطريق المستقيم) .

ونجد أنّ **اسم فعل الأمر" دونَكُمُوها " ، وفعل الأمر " احْتَقِبُوها "** قد وردا في الخطبة العصماء في سياق التأنيب ، والتقريع للقوم بعد سكوتهم عن الباطل ، وتواطئهم معه ، وخذلانهم لبنت المصطفى **" صلوات الله عليه وآله "** في دفع الظلم عنها ، إذ عبّرت عن ذلك ، وقد ضمنّت كلامها التهديد والوعيد ، وما ينتظرهم من العقاب الأليم من ربِّ العرش العظيم بقولها **"عليها السلام " :**

(دُونَكُمُوها فَاحْتَقِبُوها دَبِرَةَ الظَّهْرِ، نَقِبَةَ الْخُفِّ، باقِيَةَ الْعارِ، مَوْسُومَةً بِغَضَبِ اللهِ وَشَنارِ الْأَبَدِ، مَوْصُولَةً بِنارِ اللهِ الْمُوقَدَةِ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ. فَبِعَيْنِ اللهِ ما تَفْعَلُونَ ، " وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ " الشعراء / ٢٢٧، **وَأَنَا ابْنَةُ نَذِيرٍ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذابٍ شَدِيدٍ ، " فَاعْمَلُوا إِنّا عامِلُونَ وَانْتَظِرُوا إِنّا مُنْتَظِرُونَ "** هود / ١٢٢) .

الخاتمة

خلُصت الأبعاد الحجاجية في سطور البحث في الخطبة الفدكية إلى :

١ـ الاعتراف بتوحيد الله سبحانه ، والثناء عليه وذكر صفاته ونعمه.

٢ ـ وعرجت على مقام النبوة ، وعظيم صفاته ومنزلته في عالم الآخرة

٣ ـ بيان جهاد النبي " صلى الله عليه وآله " وما عاناه وما وصل المسلمون من فضل ..

٤ـ ظهور المنافقين ، والمنتهزين ، والذين أضمروا العداوة للرسول الأكرم " صلى الله عليه وآله " في حياته ، وانتهزوا الفرصة بعد وفاته...

٥ ـ وأمام الحشد الكبير من المسلمين عرضت مسألة فدك ، وضلّ الخليفة الأوّل مصراً على نحن معاشر الانبياء لا نورث.

٦ـ استنهاض المسلمين ؛ لنصرة المظلوم ، وتقريعهم على السكوت والخذلان بمعاكسة الموقف .

٧ ـ وبيّنت الشرائع ؛ فجعل الله الإيمان تطهيرا لكم من الشرك ، والصلاة تنزيها لكم عن الكبر والزكاة تزكية للنفس ، ونماءً في الرزق والصيام تثبيتا للإخلاص ، والحج تشييدا للدين ، والعدلَ تنسيقا للقلوب ، وطاعتنا نظاما للملة ، وإمامتنا أمانا للفُرقة.

٨ ــ أخيراً فقد أصابت الهدف في كشف زيغ المخططات التي أرادت أن تغتصب من حقها ، ووضعت الحق في نصابه ، ووقفت وقفتها التاريخية التي شهد لها التاريخ ؛ لتضيء صفحات الحق ، والعدل ، ولتُنير طريق الحرية مع قلة النّاصر ، وخذلان الصّديق ، كالطّود الشامخ ، وهي تنطق عن لسان أبيها المختار " عليه أفضل الصلاة، وأتم التسليم " ومنطق كلام ربِّ الحق ، ولعلّ من أهم عوامل رقي الخطابة :

الحرية، وطموح الأمة إلى حياة أرقى وذلك- مثلاً- إذا ما تفشى في أمة من الأمم سخط على نظام قائم ، ووجدت إرادة في التغيير إلى الأفضل، والتاريخ القديم والمعاصر يشهدان لهذا، والتغيرات الدينية والسياسية والاجتماعية، والحروب والثورات، وكثرة الأحزاب .

الهوامش

١- فتوح البلدان ، البلاذري ، ١ / ٣٥ .

٢- اللسان ، والميزان ، أوالتكوثر العقلي ، طه عبد الرحمن ، ٢٥٤ .

٣- (ينظر : الحِجَاج واستراتيجية الإقناع عند طه عبد الرحمن ، مقاربة إبستيمولوجية- الدكتور حمودي محمد، جامعة مستغانم).

٤- (الخطابة أصولها ، تاريخها في أزهر عصورها عند العرب : ١١) .

٥- المصدر نفسه : ٩ .

٦- تفسير أبي السعود / ٧ / ٢٢٠ .

٧- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدي وهبه ٩٠ .

٨- ينظر : الخطابة / أرسطو / ٢٩ ـ ٣٠ .

٩- الحجاج والمراس : ٤ / ٢٩٩ .

١٠- خطبة السيدة الزهراء (عليها السلام) مع شرح لبعض مفرداتها/ منتدى الكفيل قسم فضائل أهل البيت (عليهم السلام)

١١- ينظر : فن الخطابة ، د أحمد الحوفي ، ٥ ، وينظر : الخطابة ، أصولها ، تاريخها في أزهر عصورها ، ٩ .

١٢- النّظريّة الحجاجية حليمة/ مقال بوعلاق .

١٣- ينظر : في أصول الحوار ، وتجديد الكلام ، طه عبد الرحمن ، المركز الثقافي العربي / ٢٠٠٠ م . ص ٦٥ .

١٤- " عالم الفكر / المجلد ٤٠ / اكتوبر ـ ديسمبر / ٢٠١١ م . / الكويت / آليات الحجاج في كشف ما هو في الحقيقة لجاج / ٤٥ " .

١٥- شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد / ١ ـ ٧٢ " .

١٦- شرح نهج البلاغة للحائري ٣٤/١ .

١٧- صحيح مسلم ١٢٣/٧ .

١٨- الحجاج في اللغة / أبو بكر العزاوي / ٥٦ .

١٩- ينظر : آليات الحجاج القرآني ١٥١، " ينظر : الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله .ص ١٠٤ " .

" روافد البحث "

- القرآن الكريم .
- آليات الحجاج في كشف ما هو في الحقيقة لجاج، عالم الفكر / المجلد ٤٠ / اكتوبر - ديسمبر / ٢٠١١ م .
- آليات الحجاج القرآني ، دراسة في نصوص الترغيب والترهيب ، د. عبد الجليل العشراوي عالم الكتب الحديث / إربد / الأردن / ٢٠١٦ م .
- الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله ، د. رضوان الرقبي ، عالم الفكر / ٢٠١١ م
- تفسير أبي السعود / إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، دار إحياء التراث العربي / بيروت .
- الحِجَاج واستراتيجية الإقناع عند طه عبد الرحمن ، مقاربة إبستيمولوجية- الدكتور حمودي محمد، جامعة مستغانم. وقع جامعة مستغانم الجزائرية، على الرابط الالكتروني الآتي

/http://attanafous.univ-mosta.dz

- الحجاج والمراس ، الحجاج ، مفهومه ، ومجالاته ، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة ، إشراف : حافظ إسماعيلي ، عالم الكتب الحديث ، ٢٠١٠ م .
- خطبة السيد الزهراء (عليها السلام) وردت في علل الشرائع للشيخ الصدوق ، و الآمالي للشيخ الطوسي ، وكشف المحجة في شرح خطبة اللُّمة ، شرح خطبة فاطمة الزّهراء " عليها السلام " العلاّمة الكبير ، والمحدّث الشّهير السّيِّد عبد الله شبر ، تحقيق الشيخ علي الأسدي ، مكتبة فدك لإحياء التراث ، قم ، ط ١ ، ٢٠٠٧ م .
- الخطابة أصولها ، تاريخها في أزهر عصورها عند العرب ، محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي ، للطباعة ، والنشر ، والتوزيع ، ٢٠٠٨ م .
- شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ط١، ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩ م .
- شرح نهج البلاغة ، السّيِّد محمّد كاظم القزويني الحائري ، ط النجف .
- صحيح مسلم ، دار الفكر ، بيروت .

- فتوح البلدان المؤلف :أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (المتوفى: ٢٧٩هـ) الناشر :دار ومكتبة الهلال- بيروت عام النشر ١٩٨٨ م .
- فن الخطابة ، د . أحمد الحوفي ، نهضة مصر ، القاهرة .
- فن الخطابة، أرسطو ، عبد الرحمن بدوي ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٨ م .
- اللسان والميزان ، أو التكوثر العقلي ، طه عبد الرحمن ، المركز الثقافي ، الدار البيضاء ، ط ١ ، ١٩٩٨ م .
- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدي وهبه ، ط٢ ، ١٩٨٤.
- النّظريّة الحجاجية ، دراسة مبسطة ، حليمة بوعلاق، مقال ، تونس . " النت" .